الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية **العلوم الإنسانية والاجتماعية**
قسم **العلوم الإسلامية**
تخصص **فقه وأصول**

منهج القرطبي في التعامل مع آيات الأحكام –آيات الطهارة– أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في العلوم الإسلامية تخضص فقه وأصول

من إعداد
دلهوم نور الهدى
بن حامة منال
حاجي سمية

تحت إشراف
د. بشير عثمان

السنة الجامعية: 1440هـ/ 2019 م

الإهداء

إلى كل من كان لنا سند في الحياة، إلى الوالدين الكريمين، الذيْنِ جاهدا بالغالي و النفيس لكي نحيا حياة طيبة، اللهم أسعد قلبيهما، وارحمهما كما ربياني صغيرا.

إلى الدكتور بشير عثمان الذي لم يبخل علينا من علمه وحلمه،

إلى كل أساتذة قسم الشريعة بولاية المسيلة.

إلى كل أخواة وأخوات والأقارب من بعيد أو قريب، إلى كل صديقاتنا اللاتي نحسبهن أخوات لنا، وإلى كل من ساعدنا في إنجاز هذا البحث المتواضع من قريب أو بعيد، ولو بكلمة طيبة.

نسأل الله السداد والتوفيق لما يحبه ويرضاه.

مقدمة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

كما هو معلوم فإن المسلمين قد اعتنوا بالقرآن عناية شديدة، فأقبلوا عليه بالقراءة والحفظ والتدبر، وأقبل عليه العلماء بالتفسير وتحليل آياته واستنباط الأحكام منها واستخراج الوقائع والحقائق منها ...من بين هؤلاء العلماء العالم العلامة العظيم الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الخزرجى المالكي القرطبي.

فسر القرطبي القرآن الكريم في أجل كتاب من كتب التفسير وأعلاها شأنا،كتابه "**الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان**"واتبع أثناء كتابته نمط معين انفرد به عن باقي المفسرين، والسؤال المطروح سيكون كالتالي:

الإشكـــــــــــــــالية:

من هو القرطبي؟

و ما هي محطات حياته التي مر بها ؟

ما هو منهج القرطبي في تفسير القرآن الكريم؟

وما هي الطريقة التي اتبعها في تفسير آيات الأحكام من خلال كتابه الجامع لآيات القرآن؟

وللإجابة على هذا التساؤل قمنا بالبحث في الموضوع متبعين منهج الاستقراء والتحليل لأنهما الأنسب لمثل هكذا دراسة، واختيارنا لهذا الموضوع راجع لعدة أسباب نذكرها في الآتي:

أسباب اختيار الموضوع:

ما دفعنا لاختيار هذا الموضوع _ ليكون بحثا في مرحلة الليسانس _ أسباب عديدة نذكر منها:

- ✓ التعريف بالإمام القرطبي والتنويه بجهوده في خدمة التفسير.
- ✓ البحث في منهج القرطبي في التفسير وتلخيصه في شكل مذكرة لوضعها في متناول الطلبة وتسهيل اطلاعهم عليها لاستفادتهم منها.

- ✓ أن في هذا البحث تطبيقا لمنهج القرطبي في التفسير والذي درسه وجمعه العديد من الباحثين وهذا العمل يزيدنا فهما وإحاطة به.
- ✓ التعلم والتدرب على البحث وكيفية نقل المعلومة والتعبير عنها.
- ✓ التمكن من التعرف على الأحكام الفقهية من أدلتها التفصيلية.

أهمية دراسة الموضوع:

- ✓ توضيح منهج القرطبي وطريقته في تفسير القرآن الكريم وآيات الطهارة بشكل خاص.
- ✓ تفسير القرطبي " الجامع لأحكام القرآن" من أجل التفاسير وأعظمها شأنا، وقد استفاد منه طلاب العلم والعلماء على اختلاف تخصصاتهم ومآربهم.
- ✓ انفراد القرطبي بمنهج خاص، ما يستدعي الدراسة.
- ✓ شهرة القرطبي وعلو قدره عند العلماء، والذي يتجلى في معظم كتب التفسير.

الدراسات السابقة:

- ✓ منهج الإمام أبي عبد الله القرطبي في استنباط الأحكام من خلال تفسيره الجامع لأحكام القرآن، رسالة ماجستير، حارث محمد سلامة عيسى.
- ✓ الجامع لأحكام القرآن دراسة وتحقيق وتخريج،رسالة دكتوراه، محمد يماني.
- ✓ القرطبي ومنهجه في التفسير، رسالة دكتوراه، القصبي محمود حامد زلط.
- ✓ القرطبي مفسرا، رسالة ماجستير، علي سليمان العيد.

اقتضت طبيعة بحثنا أن يقوم هيكله على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول: القرطبي، عصره، حياته وآثاره العلمية

المبحث الثاني: منهج القرطبي

المبحث الثالث: تطبيقات منهج القرطبي على آيات الطهارة

المبحث الأول:

القرطبي،

عصره،حياته

وآثاره

المبحث الأول: القرطبي عصره، حياته وآثاره

المطلب الأول: عصر القرطبي

عاش القرطبي بداية حياته في الأندلس،ثم انتقل للعيش في مصر وتوفي هناك، ولهذا سنتناول في هذا المطلب الحالة السياسية والاجتماعية والثقافية في الأندلس ثم في مصر، كل على حدة والله المستعان.

الفرع الأول: الحالة السياسية والاجتماعية والثقافية في الأندلس

أولا/ الحالة السياسية في الأندلس

عاش القرطبي بداية حياته في الأندلس في ظل دولة الموحدين التي قامت "بالمغرب على يد المهدي محمد بن تومر(485-524ه)على أساس من الفهم النقي للدين الإسلام، والتوحيد الخالص وصفاء العقيدة"[1]،ثم بدأت بتحقيق الانتصارات والتوسع لتشمل دولة المرابطين"بعد معركة انتهت بانتصار دولة الموحدين في شهر شعبان سنة(516ه)"[2] "وامتدت من أواسط شبه الجزيرة الإسبانية شمالا حتى مشارف الصحراء الإفريقية جنوبا، ومن طرابلس الغرب شرقا حتى شواطئ الأطلنطي غربا"[3].

كان شعار دولة الموحدين دائما هو الجهاد في سبيل الله "ومقاومة العدوان النصراني في شبه جزيرة الأندلس،ورغم قوة الجيش الإسلامي إلا أنه تعرض للعديد من الهزائم،فقد خسر أمام القشتاليين(578ه-1172م)، وأمام البرتغاليين(580ه-1184م)حيث قتل الخليفة بذاته في هذه الموقعة، لكن هذا لا ينفي أن دولة الموحدين قد حققت انتصارا كبيرا في معركة الأرك الشهيرة ضد القشتاليين في رجب سنة (591 ه)

---

[1]/أعلام المفسرين،مشهور محمد حسن سلمان،دار القلم،دمشق، ط:1، ج 4، 1413ه/1993م،ص20-21

[2]/عصر المرابطين والموحدين في الأندلس والمغرب، عدنان محمد عبد الله، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط:1، 1383 ه/ 1964 م، ص 178.

[3]/عصر المرابطين والموحدين في الأندلس والمغرب، عدنان محمد عبد الله، ص396.

... لكن هذا الانتصار لم يدم،حيث تعرض المسلمون للهزيمة في وقعة العقاب المشؤومة التي أحرز فيها الأعداء نصرهم الساحق على الجيش الموحدين بقيادة الخليفة محمد الناصر ولد المنصور"[1]... وحول وقعتي العقاب و الأرك قال القرطبي في كتابه التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: "ولم يمض إلا على وقوعها سوى أعوام قلائل حتى انهار سلطان دولة الموحدين بالأندلس أخذت قواعد الأندلس تسقط تباعا في أيدي النصارى في وابل من المحن المؤلمة...".

من الأسباب التي جعلت دولة الموحدين تتعرض لكل هذا" التآمر الضاري ضد الوجود الإسلامي والتنازع والتفرق، ومما ضاعف في بلاء المسلمين تعاون بعضهم مع عدوهم ضد بعضهم الآخر..."[2]، وانجر على كل هذا انتصار النصارى ضد دولة الأندلس انتهازهم الفرصة لتثبيت قواعدهم في كل مكان، "حيث بدأت دولة الأندلس حتى أذن الله أن تبعث قوة فتية جديدة تتمثل في قيام مملكة جديدة تتمثل في قيام مملكة غرناطة، آخر دول الإسلام في الأندلس المفقودة"[3].

هذه بعض الظروف السياسية التي سادت في عصر القرطبي، وهي تمثل مرحلة صعبة من المراحل التاريخية لتلك البقعة.

ثانيا / الحالة الاجتماعية والثقافية في الأندلس:

رغم الحالة السياسية المزرية للأندلس في عصر القرطبي إلا أن "قرطبة ظلت تحتفظ بمكانتها الأدبية والروحية باعتبارها القاعدة الأولى لدولة الإسلام في الأندلس ولكونها تضم المسجد الجامع أعظم المساجد الجامعة في بلاد المغرب والأندلس"[4]،

[1]/عصر المرابطين، عدنان محمد عبد الله، ص28، بتصرف.

[2] /أعلام المسلمين، مشهور محمد حسن سلمان، ص21 –22، بتصرف.

[3]/عصر المرابطين، عدنان محمد عبد الله، ص33.

[4] /قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، عبد العزيز سالم،مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،ج1، 1984م، ص150.

وكانت ذات مكانة بين سائر المدن في الثقافة والعلم والعمارة،فكانت منارة وقبلة للعلم حتى سقوطها.

"أما عن أهل قرطبة فقد كانوا في بداية الأمر مزيجا من العرب والبربر والقوط وخليطا من الأجناس والأديان، لكن سرعان ما صارت مدينة عربية إسلامية باستقرار معظم الوافدين العرب إليها بعد الفتح الإسلامي، وبهذا فإن أهل قرطبة ينقسمون من الناحية الاجتماعية إلى طبقتين،طبقة عامة وطبقة خاصة؛أما الطبقة الخاصة فكانوا من سلالة العرب الفاتحين وأنصارهم ومن هؤلاء يختار الخليفة الوزراء والأمراء وأهل الخدمة.أما الطبقة العامة فكانت تشمل معظم أهل قرطبة الأصليين (القوط المسيحيين) وكانت تكون من أرباب الصناعات والعمال والخدم"[1].

"ومن فضائل أهل قربة أنهم كانوا يتمتعون بالسلوك الحسن والتدين والإيمان بالعقيدة وكذا إصرارهم على رفع راية الحق وجهادهم ضد المسيحيين في الأندلس، وكل هذا يظهر من خلال كثرة المساجد في قرطبة"[2].

الفرع الثاني: الحالة السياسية والاجتماعية في مصر

أولا / الحالة السياسية في مصر

كما ذكرنا أعلاه فقد عاش القرطبي في مصر فترة من حياته في مصر بعد هجرته من الأندلس إليها،وكان ذلك في ظل عصر المماليك،حيث "عمل المصريون آنذاك على تخليص المشرق العربي من الغزو الصليبي، وردوا غارات التتار التي كانوا يقصدون بها مصر، بعد أن أسقطوا العلاقة العباسية ببغداد، وأعملوا السيف في أهلها، وحرقوها،وبعد أن نهبوا بلاد الشام، وغدروا بأهلها، وقتلوا منهم خلقا كثيرين لا يعلمهم إلا الله تعالى، وصلوا إلى غزة يقصدون مصر، هنا بادرهم(سيف الدين قطرز)قبل أن

[1] /قرطبة في عصر الأندلس،أحمد فكري مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1983م، ص251.

[2] /منهج القرطبي في القراءات وأثرها في التفسير، عبد الله أبوسحلوب،رسالة ماجستير،الجامعة الإسلامية،كلية أصول الدين،قسم التفسير وعلوم القرآن،ص39.

يبادروه، فخرج في عساكره حتى انتهى إلى الشام ، واستيقظ له عسكر المغول، وعلى رأسهم(كتبغانون)، فكان اجتماعهم في(عين جالوت)يوم الجمعة، الخامس والعشرين من رمضان سنة(658ه) فاقتتلوا قتالا عظيما وكانت النصرة للإسلام وأهله انهزم المغول هزيمة هائلة، وقتل أميرهم(كتبغانون)، ورد الله بذلك عن مصر شرا مستطيرا، وحمى دولة الإسلام من الأعداء..."[1].

ثانيا / الحالة الاجتماعية والثقافية في مصر

أما من الناحية الاجتماعية والفكرية لأهل مصر فقد اشتكى القرطبي من أهل مصر كثيرا، وذلك من خلال كتبه،نذكر أسباب أنينه في التالي:[2]

1. ظهور الزنا وقلة النخوة، حيث قال: "وعدم الغيرة في كثير من أهل مصر موجودة"[3] وقال في كتابه التذكرة: "وأما ظهور الزنا فذلك مشهور في كثير من الديار المصرية"
2. كثرة الأسواق والتجوال فيها.
3. انتشار الكهنة والمنجمين، قال: "وقد انقلبت الأحوال بالإتيان بالمنجمين والكهان، لا سميا في الديار المصرية"[4].
4. كثرة الحمامات وكشف العورات.
5. المشي في الجنائز رويدا والوقوف بها المرة بعد المرة، فالمشروع الإسراع
6. قراءة القرآن بالألحان.

---

[1]/ أعلام المسلمين، مشهور محمد حسن عبد الله، ص41-42، بتصرف.

[2]/ المرجع نفسه، ص 42 -44، بتصرف.

[3] /الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله بن محمد بن أحمد بن أبي بكر، القرطبي، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي مع محمد رضوان عرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط: 1، بيروت – لبنان، 1427ه/ 2006م، ج9، ص175.

[4] /المرجع نفسه،ج 7،ص3.

المطلب الثاني: حياة القرطبي وأهم شيوخه

اسمه ونسبه:

محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الخزرجي الأنصاري المالكي القرطبي الأندلسي، هذا ما ذكره القرطبي بخطه وذكره جميع مترجميه[1].

وقد لقبه البعض بشمس الدين ولكنه كان يكره هذا اللقب، قال مشهور حسن سلمان: "وأرى بأن صاحبنا كان يكره هذا اللقب،لما عرف عنه من التواضع وخوفا من الوقوع في قوله تعالى:﴿**فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى**﴾[سورة النجم، الآية32]

والقرطبي –كما ذكر عن نفسه–نسبه إلى قرطبة أشهر مدن الأندلس، كما لا خلاف في أنه خزرجي أنصاري نسبه إلى الخزرج الأكبر[2]، وهذا ما أكده محمود سلمان في كتابه أعلام المسلمين، حيث قال: "فصاحبنا من بين القلة الذين عرفة أنهم من الخزرج، فهم عريق النسب كريم الحسب، غير أننا لا نعرف نسبه المتصل إلى هذه القبيلة العظيمة، وإنما عرفناه هكذا من خطه، فهذا أكثر الذي وجدناه في الحديث عن نسبه واسمه".

مولده ونشأته:

ولد أبوعبد الله بقرطبة وتلقى بها العلوم، لم تذكر كتب التراجم تاريخ ميلاده لانه"لم يعتن القدماء بضبط مواليد العلماء كاعتنائهم بضبط وفياتهم[3]، لكن هذا لم يمنع بعض المؤرخين ممن ترجموا له من توقع تاريخ ولادته، حيث استنتجوا بالنظر إلى تفسيره لسورة آل عمران الآية (175–180)أنه ولد في مطلع القرن السابع الهجري(07ه).

---

[1] /أعلام المسلمين، مشهور محمد حسن سلمان، ص12/11. ينظر: ترجيحات القرطبي في التفسير، عبد الله عيدان أحمد الزهراني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، شعبة التفسير وعلوم القرآن، المملكة العربية السعودية، ص 15/ وعلوم القرآن الكريم في تفسير القرطبي، علي عبد الله علي علان، رسالة دكتوراه، ص8.

[2] /أعلام المسلمين، مشهور محمد حسن سلمان، ص 12.

[3]/المرجع نفسه، ص 15 – 19.

نشأ القرطبي في أسرة ميسورة الحال، فقد كان أبوه يشتغل بالزراعة وهو يزاول أنشطة يدوية، قيل صناعة الزجاج وقيل كان ينقل الآجر لصنع الخزف. فقد كانت صناعة الخزف والفخار من الصناعات العادية التقليدية التي انتشرت في قرطبة.

انكب القرطبي منذ صغره على دراسة العلوم الدينية والعربية وكان يهتم بالأحكام الدينية، كما تلقى ثقافة واسعة في الفقه والنحو والقرآن وغير ذلك على يد جماعة من العلماء المسلمين،سنأتي على ذكرهم في الآتي

شيوخه:

نذكر من شيوخه والعلماء الذين تلقى على أيديهم العلم:

- أبو عبد المعطي بن محمود بن عبد المعطي بن أبي الثناء اللخمي (638ه) فقيه مالكي[1]، له كتب منها "شرح الدلالة على فوائد الرسالة"
- أبو محمد رشيد الدين عبد الوهاب بن رواج بن فتوح بن حسين الأزدي القرشي(648ه)فقيه مالكي سكن الإسكندرية، ومن الذين أكثر الأخذ عنهم الإمام القرطبي[2]
- بهاء الدين أبو الحسن علي بن هبة الله بن سلامة المسلم اللخمي، المعروف باين الجميزي(649ه)، وكان شافعيا، مفتيا، مقرئا، وتولى الخطابة بجامع القاهرة[3].
- أبو العباس القرطبي ضياء الدين أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر الأنصاري(656ه)، فقيه مالكي، له تصانيف مثل "المفهم"[4].

[1] /الأعلام،الزركلي، دار العلم للملايين،1404 ه، ج4، ص155.

[2] /سير أعلام النبلاء،شمس الدين محمد بن أحمد، الذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف،مؤسسة الرسالة،ط:1،ج23،1405ه/1985م، ض237.

[3] /الأعلام، الزركلي،ج5،ص30.

[4] /المرجع نفسه،ج 1 ،186.

- صدر الدين أبوعلي الحسن بن محمد بن الشيخ أبي الفتوح محمد بن محمد البكري(656ه) له مصنف " الأربعين"[1].

بالإضافة إلى شيوخ تأثر بهم كثيرا نذكر منهم[2]:

- أبو جعفر بن جرير الطبري (310ه) صاحب "جامع البيان في تفسير آي القرآن".
- أبو جعفر النحاس(338ه)صاحب كتابي "إعراب القرآن"و"معاني القرآن".
- أبو الحسن علي بن محمد الماوردي(450ه)صاحب "النكت والعيون".
- القاضي محمد بن عطية(541ه)صاحب "المحرر الوجيز".

وبهذا نلاحظ أن القرطبي تعلم على يد العديد من العلماء والمشايخ، ومما زاد في غزارة علمه كونهم يختلفون في مذاهبهم وأماكنهم، وما أتاح له ذلك هو كثرة سفره وطلبه العلم في كل مكان يذهب إليه.

المطلب الثالث: آثاره العلمية ومكانته

الفرع الأول: مؤلفات القرطبي[3]

من المعلوم أن القرطبي ترك العديد من المؤلفات، منها المطبوعة ومنها المخطوطة ومنها المفقودة:

مؤلفاته المطبوعة:[4]

- الإعلام بما في دين النصارى من المفاسد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام.
- الجامع لأحكام القرآن والمبين لمل تضمنه من السنة وآي الفرقان.
- التذكار في فضل الأذكار.

---

[1] /المرجع نفسه،ج2،ص215.

[2] /الشواهد اللغوية في تفسير الجامع لأحكام القرآن، سليمة عياض، أطروحة دكتوراه،جامعة قاصدي مرباح–ورقلة، كلية الآداب واللغات،قسم الأدب العربي،2016م/2017م، ص18.

[4]/المرجع نفسه، ص 20–22.

- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة.
- قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكسب والصناعة.

مؤلفاته المخطوطة:

- الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العليا.
- الأعلام في معرفة مولد المصطفى عليه الصلاة والسلام.
- المصباح في الجمع بين الأفعال والصحاح.
- المقتبس في شرح موطأ الإمام مالك ابن أنس.
- رسالة في ألقاب الحديث.

مؤلفاته المفقودة:

- أرجوزة جمع فيها أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وشرحها.
- شرح التقصي.
- الانتهاز في قراءة أهل الكوفة والبصرة والشام والحجاز.
- اللمع اللؤلؤية في شرح العشرينيات النبوية.
- منهج العباد ومحجة السالكين والزهاد.

الفرع الثاني: تلاميذه

لم يدرس القرطبي الكثير لانشغاله بشحن رصيده الفكري،حيث ذكرت كتب التراجم ستة تلاميذ فقط:

1. أبو بكر محمد بن الإمام كمال أبو العباس أحمد بن أمين الدين بن محمد الحسن بن الميمون.
2. القسطلاني المصري(686ه) فقيه مالكي.
3. أبو جعفر أحمد بن ابراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي(708ه) له مصنفات. مثل:"الإعلام بمن ختم به القطر الأندلسي من الأعلام".

4. اسماعيل بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الصمد الخرساني(709ه) سمع من السخاوي وابن عساكر.
5. شهاب الدين أحمد (ابن القرطبي)تلقى عنه العلوم وروى عنه بالإجازة
6. ضياء الدين أحمد بن أبي السعود بن المعالي البغدادي(السطربجي)أجاوه القرطبي بمناول كتاب التذكرة[1].

الفرع الثالث: مكانته العلمية

أثنى العلماء على القرطبي،حيث قال المقريزي(840ه)"إنه من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا المشتغلين بأمور الآخرة"[2].

وقال الذهبي (748ه):"رحل وكتب وسمع وكان يقضا فهما حسن الحفظ،مليح النظم،حسن المذاكرة،ثقة حافظا"[3].وقال: "إمام متبحر في العلم وله تصانيف مفيدة،تدل على كثرة اطلاعه و وفور عقله".

وقال السيوطي (911ه):"أبو عبد الله القرطبي، مصنف التفسير المشهور الذي سار به الركبان،والتذكرة وأحوال الموتى وأمور الآخرة"[4].

وقال الغزالي(1167ه):"القرطبي مجمد بن أحمد بن أبي بكر، الإمام الخير العلامة المفسر أبو عبد الله الأنصاري الخزرجي،صاحب المؤلفات،كالتفسير والتذكرة"[5].

وقال ابن العماد عبد الحي ابن أحمد(1089ه):"كان إماما علما من الغواصين على معاني الحديث،حسن التصنيف جيد النقل".

---

[1] / الشواهد اللغوية وأبعادها في تفسير الجامع لأحكام القرآن،سليمة عياض،ص189.

[2] /علوم القرآن في تفسيرالقرطبي،علي عبدالله علي علان،ص8-9.

[3] /تاريخ الأسلاف ووفيات المشاهير والأعلام،عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، الذهبي،دار المغرب الإسلامي، ط: 1،ج5،1434ه، ص229-230.

[4] /طبقات المفسرين،الحافظ جلال الدين السيوطي،طبع ليدن،1839م، ص92.

[5] /ديوان الإسلام،شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي،تحقيق: سيد كسروي حسن،دار الكتب العلمية،بيروت،ط:1،ج1990،4م، ص28.

وعرف عنه من التواضع والزهد ما جعل ابن فرحون يقول:"كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة،وأوقاته معمورة ما بين توجه وعبادة وتصنيف،وكان قد اطرح التكلف، يمشي بثبات واحد وعلى رأسه طاقية"[1].

[1] /علوم القرآن في تفسير القرطبي، علي عبد الله علي علان،ص8-9.

المبحث الثاني:

منهج القرطبي في التعامل مع آيات الأحكام

المبحث الثاني: منهج القرطبي في التعامل مع آيات الأحكام

سنتطرق في هذا المبحث إلى منهج القرطبي في تفسيره لآيات الأحكام،قسمناه إلى ثلاث مطالب،يتضمن المطلبين الأولين منهج القرطبي في التفسير بالمأثوروالتفسير بالرأي،والمطلب الثالث يتضمن استخدام القرطبي لعلوم القرآن.

وقبل عرض ذلك سنقوم بتعريف وجيز لمصطلح المنهج

تعريف المنهج:

لغة:تشتق كلمة "**منهج**"من الفعل نهج،أي: سلك طريقا معينا،وبالتالي فإن كلمة "**المنهج**"تعني الطريق والسبيل[1].

اصطلاحا: فن التنظيم الصحيح لسلسلة الأفكار العديدة ،إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين،وإما من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين[2].

المطلب الأول: منهج القرطبي في التفسير بالمأثور

الفرع الأول: تفسير القرآن بالقرآن

تفسير القرآن بالقرآن أحسن وأصح طرق التفسير،فما أُجمل في مكان فقد فسر في موضع آخر،وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر.

والقرطبي _ رحمه الله _ عند تفسيره للمفردة القرآنية،كان كثيرا ما يستشهد بآية أو آيات من كتاب الله تعالى على ما ذهب إليه، وهذا ما يتميز به تفسيره، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها[3]قوله تعالى:﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرآنُ**﴾[سورة البقرة، الآية185].

---

[1] /البحث العلمي حرفة وفن،منصور نعمان وعثمان طيب نمري،الأردن، 1998 م.

[2] /مناهج البحث في الفقه الإسلامي،عبد الوهاب ابراهيم أبو سليمان،دار ابن حزم، بيروت،ط:1، 1416ه/ 1996م، ص15.

[3]/تفاسير آيات الأحكام ومناهجها،علي سليمان العبيد،دار التدمرية،الرياض– المملكة العربية السعودية ،ط:1، 1431ه / 2010م، ج1، ص379.

وقوله تعالى:﴿**الذِي فيه أَنْزَلَ القُرآنَ**﴾نص في أن القرآن نزل في شهر رمضان، وهو يبين قوله تعالى:﴿**حم،والكتاب المبين،إنا أنزلناه في ليلة مباركة**﴾[سورة الدخان، الآية 1-3]، يعني ليلة القد،ولقوله:﴿**إنا أنزلناه في ليلة القدر** ﴾[سورة القدر، الآية 1].

وأيضا بتفسيره للآية بذكر ما يناظرها من الآيات كما قال عند تفسيره لقوله تعالى:﴿**ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيماطمعوا**﴾[سورة المائدة، الآية 93]، وهذا الآية نظير لقوله تعالى:﴿**لا تحرموا طيبات ما أحل لكم**﴾[سورة المائدة، الآية 87]،ونظير قوله تعالى:﴿**قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق**﴾[سورة الأعراف، الآية 32].

الفرع الثاني: تفسير القرآن بالسنة

السنة هي المصدر الثاني من مصادر التفسير بعد القرآن الكريم،فهي شارحة له،مبينة لأحكامه،فقد اعتنى القرطبي عناية كبيرة بالسنة في تفسيره حيث تجده ينسب الأحاديث إلى مخرجيها من أصحاب الكتب الستة وغيرهم في غالب أحواله، وتجده يتكلم في بعض المواضع على الحديث من حيث السند أو المتن أو القبول أو الرد، وفي ذلك يقول:"وكثيرا ما يجيء الحديث في كتب الفقه والتفسير مبهما لا يعرف من أخرجه إلا من اطلع على كتب الحديث، فيبقى من لا خبرة له بذلك حائرا...ونحن نشير إلى جمل من هذا الباب والله الموفق للصواب"[1].

ومثال ذلك تفسيره عند قوله تعالى:﴿**وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له مافي السماوات والأرض كل له قانتون**﴾ [سورة البقرة،الآية117].

[1] /ترجيحات القرطبي في التفسير، عبدالله عيدان، رسالة ماجستير،جامعة أم القرى، كلية الدعوة و أصول الدين –قسم كتاب و سنة – شعبة التفسير و علوم القرآن الكريم، المملكة العربية السعودية، 1429/1428 ه، ص39.

والقنوت في اللغة أصله القيام،ومنه الحديث:"أفضل الصلاة طول القنوت"[1].

وعند تفسير قوله تعالى:﴿**الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون**﴾ [سورة البقرة،الآية 3]،اختلف العلماء في المراد بالنفقة،فقيل الزكاة المفروضة_وروي عن ابن عباس _لمقارنتها الصلاة.

وقيل نفقة زكاة الرجل على أهله،وهذا ما رواه ابن مسعود لأن ذلك أفضل النفقة،وهذا ما أكده قوله قوله صلى الله عليه وسلم فيما روي عن أبي هريرة:"دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة، ودينار أنفقـــــته،ودينار تصدقت به على مسكين،ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجرا الذي أنقته على أهلك".

الفرع الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة

اهتم القرطبي في تفسيره بما أثر عن الصحابة،لأنهم من رضي الله عنهم ورضوا عنه،ومما لا شك فيه أن أقوالهم خير القول بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيضا هم من شهدوا التنزيل، وهذا ما دعا القرطبي أن يجعل أقوال الصحابة من طرق تفسير كتاب الله،فهم أصحاب خير البشر صلى الله عليه وسلم.

أمثلة تفسيره بأقوال الصحابة ما يأتي:

ما روى طلحة بن عبيد الله قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير**سبحان الله،** فقال صلى الله عليه وسلم: "هو تنزيه الله عز وجل عن كل سوء"[2] وهو مشتق من السبح، وهو الجري والذهاب، قال تعالى:﴿**إن لك في النهار سبحا طويلا**﴾[سورة المزمل،الآية7].

---

[1] /أخرجه الإمام مسلم في صحيحه،رواه جابر ابن عبد الله،كتاب الصلاة للمسافرين،باب أفضل الصلاة طول القنوت،ص175.

[2] اخرجه الشاشي في مسنده 10 و الحاكم 502/1.

الفرع الرابع: تفسير القرآن بأقوال التابعين

القرطبي يكثر النقل عن أئمة التابعين ويستحسن أقوالهم،ويعضدها بما يراه مناسبا من وجوه الإستشهاد،ويستحسن بعض هذه الأقوال ويفاضل بينها ومن الأمثلة على ذلك: عند تفسير قوله تعالى:﴿**ويقيمون الصلاة**﴾[سورة البقرة، الآية3]، قيل:"يقيمون يديمون، أقامه، أي: أدامه، واختاره ابن العربي قال: لأن في حديث الأعرابي:"**وأقم**" فأمره بالإقامة كما أمره بالتكبير والإستقبال والوضوء[1].

وعند تفسيره قوله تعالى:﴿**ختم الله على قلوبهم**﴾[سورة البقرة، الآية7]، قال مجاهد:"القلب كالكف يقبض منه بكل ذنب اصبع ثم يطبع"، قال القرطبي:(وفي قول مجاهد هذا وقول عليه السلام :"إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"دليل على أن الختم يكون حقيقيا)[2].

المطلب الثاني: منهج القرطبي في التفسير بالرأي

الفرع الأول: الإتجاه اللغوي النحوي

لقد اعتنى القرطبي بمعاني المفردات وبمعاني الحروف والأدوات، فعنايته في تفسيره واضحة حيث كان يبين ما تحمله المفردة اللغوية من معان عدة.

مثال: عند تفسيره لكلمة الغيب في قوله تعالى:﴿**الذين يؤمنون بالغيب...**﴾[سورة البقرة، الآية2]، حيث قال: الغيب في كلام العرب كل ماغاب عنك، وهو من ذوات الياء، يقال: غابت الشمس تغيب، والغيبة معروفة.

ومن أمثلة عنايته بمعاني الحروف والأدوات مايلي: "**و إذا قيل...**"، حيث "إذا" موضع نصب، والعامل فيها قالوا وهي تؤذن بوقوع الفعل المنتظر[3].

---

[1] /الجامع لأحكام القرآن،القرطبي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي مع محمد رضوان عرقسوسي،ج1،ص253.

[2] /الجامع لأحكام القرآن، القرطبي،ج1،ص287.

[3] المرجع نفسه، ج1، ص 251.

الفرع الثاني: الاتجاه الفقهي الأصولي

إن تفسير الإمام القرطبي تفسير كامل للقرآن الكريم مع التركيز على الأحكام وذكر ما يستنبطه منها، وقد وفى القرطبي بما وعد به في مقدمته من بيان الأحكام المستنبطة من الآية، وبلغ الغاية في ذلك، فلم يدع آية يمكن أن يستنبط منها حكما إلا أورد وبينه[1].

منهجه في عرض الأحكام واختلاف الفقهاء يتلخص في الآتي:

باعتبار القرطبي مالكي المذهب فإنه يكاد يذكر رأي الإمام مالك في جميع مسائل الخلاف سواء كان له قول واحد أو أقوال مختلفة في مسألة واحدة، كما يستطرد في مواضع أخرى فيذكر إلى جانب رأي المالكية رأي الشافعية والحنفية والحنابلة، وكذلك أقوال الصحابة والتابعين مع عرضه لأدلة كل فريق، والإكتفاء بذكرها دون مناقشتها أو ترجيح أحدها، وقد يبدي رأيه في المسألة معضدا ذلك بالأدلة[2].

يقول القرطبي:"...اعتضت من ذلك في تبيين آي الأحكام بمسائل تسفر عن معناها وترشد إلى مقتضاها، فضمنت كل آية تتضن حكما أو حكمين فما زاد مسائل يتبين فيها ما تحتوي عليه من أسباب النزول، والتفسير الغريب"[3]؛ وبهذا يظهر أن تفسيره – رحمه الله – ليس تفسيرا لآيات الأحكام فحسب، وإنما لجميع آيات القرآن وإن كان أولى آيات الأحكام تفصيلا كاد يغني عن كتب الفقه المقارن لما فيه من عرض للآراء الفقهية وسوق للأدلة[4].

اهتمامه بالجانب الفقهي جعله يهتم بذكر بعض المسائلوالقواعد في أصول الفقه، الذي يضبط قواعد الاستنباط ويفصح عنها، ومن المسائل التي أوردها ما يلي: سد الذرائع،

---

[1]/ تفاسير آيات الأحكام ومناهجها، علي سليمان العبيد، ص 83.

[2]/ تفاسير آيات الأحكام و مناهجها، علي سليمان العبيد، ص 387-388.

[3]/ الحامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص8.

[4]/ منهج المدرسة الأندلسية في التفسير، فهد بن عبد الله بن سليمان الرومي، مكتبة التوبة، السعودية، ط1، 1417ه/1997م، ص 13-14.

الإجتهاد في الأحكام، خبر الواحد، العام والخاص، القياس، الأمر ومقتضاه، الاستحسان والمصالح الشرعية.

المطلب الثالث: استخدام القرطبي لعلوم القرآن

الفرع الأول: المكي والدني وأسباب النزول

لقد اعتنى القرطبي ببيان المكي والمدني وترتيب السور على حسب النزول، وأيضا في معرفة المكي والمدني يعرف الناسخ والمنسوخ، وأيضا يعين على معرفة تاريخ التشريع وعلى سنة الله الحكيمة في تشريعه، وهي التدرج في التشريعات بتقديم الأصول على الفروع والإجمال على التفصيل[1].

كما اهتم ببيان أسباب نزول الآيات طالما وقع على الآية لا يكاد يغفل عن ذلك في واحد من الآي ورد فيها سبب، ومنهجه في ذلك إما بالإكتفاء في عرض الروايات دون مناقشة أو بيان الأصح منها، وقد يبين الراجح مع ذكر السبب في ذلك، فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى:﴿**ياأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تومن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم ياتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه**﴾[سورة المائدة،الآية 41].

بين سبب نزولها فقال: " الآية في سبب نزولها ثلاثة أقوال، قيل نزلت في بني قريظةوالنضر، وقيل نزلت في شأن أبي لبابة، وقيل نزلت في زني اليهود وقصة الرجم"، وقال مرجحا القول الثالث:" وهذا أصح الأقوال، رواه الأئمة مالك والبخاري ومسلم والترمذي وأبو داوود..."[2].

---

[1]/ المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد أبو شهبة، دار اللواء، المملكة العربية السعودية، ط: 3، 1407ه/1987م، ص 22.

[2]/ تفاسير آيات الأحكام ومناهجها، علي بن سلمان العبيد، ص381.

الفرع الثاني: النسخ في القرآن الكريم عند القرطبي

إن وقوع النسخ في القرآن الكريم مظهر كمال ودقة في التشريع، فقد كانت الأمة في أول عهد الرسالة حديثة عهد بجاهلية يحتاج نقلها عنها إلى سياسة في التدرج، وفترة من الزمن كافية لنقلهم من الجهل إلى العلم ومن الضيق إلى السعة، وعلاوة على ما في النسخ منالتخفيف واليسر إذا كان النسخ إلى أخف، وعظيم الأجر والثواب إذا كان إلى أثقل كما يتعين به الإستيلاء الإمتحان إذا كان النسخ إلى مساو[1].

مثال: عند تفسير قوله تعالى:﴿**مانَنسخ من آية...** ﴾[سورة البقرة، الآية 106]، قرأ الجمهور "ما ننسخ" بفتح النون، من نسخ، وهو الظاهر المستعمل على المعنى مانرفع من حكم آية وتبقى تلاوتها، كما تقدم ويحتمل أن يكون المعنى: ما نرفع من حكم آيةوتلاوتها، على ماذكرناه[2].

الفرع الثالث: دلالات الألفاظ

اعتنى القرطبي بجانب الدلالات، فهي وسيلة للفهم واستنباط من الآيات الأحكام الشرعية، مثال في استخدام القرطبي لدلالات الألفاظ في لفظة قرء، فالقرء: انقضاء الحيض، وقال بعضهم: مابين الحيضتين، وأقرأت حاجتك: دنت.

وقال أبو عمرو بن العلاء:"من العرب من يسمي الحيض قرء ومنهم من الطهر قرء، ومنهم من يجمعهما جميعا، فيسمي الطهر مع الحيض قرء".

وقيل القرء: الخروج من طهر إلى حيض، أو من حيض إلى طهر، والمطلقة متصفة بحالتين فقط، فتارة تنتقل من طهر إلى حيض، وتارة من حيض إلى طهر، فيستقيم معنى الكلام في دلالته على الطهر والحيض جميعا، فيصير الاسم مشتركا[3].

---

[1] اختلاف المفسرين أسبابه و آثاره،سعود بن عبدالله الفنيسان، دار إِشبيليا، الرياض، ط: 1، 1418 ه / 1997م، ص 138

[2] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص 308 .

[3] المرجع نفسه، ج4، ص 37 – 38 – 39 .

الفرع الرابع: وجوه الترجيح عند القرطبي

المتتبع لمناقشات القرطبي وترجيحاته يجده منصفا غير متعصب، لا يضيق بأدلة الآخرين وأقوالهم، و مع كونه مالكي المذهب، و يكثر من إيراد مذهبه و أدلته في الأحكام الفقهية، فهو سائر مع الدليل ومايؤيده، بل يرجح مايرى صوابه أيا كان قائله، و يرد عليه[1].

مثال ذلك حين قال: "ابن العربي عن الطبري في تفسير قوله تعالى:﴿**وأقم الصلاة طرفي النهار**﴾، فقال:"والعجب من الطبري الذي يرى أن طرفي النهار الصبح والمغرب، وهما طرفا الليل، انقلب القوس ركوة، وحاد عن البرجاس غلوة".

فقال القرطبي:"هذا تحامل من ابن العربي في الرد، أنه لم يجمع معه على ذلك أحد"[2].

هذا مثال على أن القرطبي انتقد ابن العربي من مخالفيه ودفاعه عنهم، مع أنهما من مذهب واحد إلا أن القرطبي كان عادلا ومنصفا، ولا يتعصب لمذهبه، أو لأحد من رجال مذهبه.

[1] تفاسير أيات الأحكام و مناهجها، علي سليمان العبيد، ص 384 - 387.

[2] منهج المدرسة الأندلسية في التفسير و خصائصه، فهد بن عبدالرحمان بن سليمان الرومي، ص 14.

المبحث الثالث:
تطبيقات منهج القرطبي على آيات الطهارة

المبحث الثالث : تطبيقات منهج القرطبي على آيات الطهارة

حاولنا في هذا المبحث جمع بعض الأمثلة لنبين مامدى تطبيق القرطبي منهجه على آيات الطهارة، حيث يتضمن هذا المبحث على ثلاث مطالب، حيث نجد في المطلب الأول تطبيق منهج القرطبي في التفسير بالأثر وفيه أربعة فروع، والمطلب الثاني هو تطبيق منهج القرطبي في التفسير بالرأي ويتضمن فرعين، أما المطلب الثالث فهو استخدام القرطبي لعلوم القرآن وفيه أربعة فروع.

المطلب الأول: تطبيق منهج القرطبي في التفسير بالأثر

وكما أشرنا سابقا أن هذا المطلب يحوي على أربعة فروع وهي كالتالي

الفرع الأول:نماذج في تفسير القرآن بالقرآن

فسر القرطبي في كتابه الآيات بالقرآن، و منها آيات الطهارة، سنعرض بعضها.

معنى قوله :﴿**إذا قمتم**﴾"[سورة المائدة آية 6]

إذا أردتم كما قال تعالى :﴿**فإذا قرأت القرآن فاستعذ**﴾**[**سورة النحل،آية 98**]**،أي: إذا أردت، لأن الوضوء حالة القيام لا يمكن[1].

قوله تعالى:﴿**ما يريد الله عليكم من حرج**﴾أي: من ضيق في الدين، ودليله قوله تعالى:﴿**ولكنيريد ليطهركم**﴾ أي: من الذنوب كما ذكرنا من حديث أبي هريرة، وقيل من الحدث والجنابة، وقيل:لتستحقوا الوصف بالطهارة التي وصف بها أهل الطاعة،وقرأ سعيد بن مسيب ﴿**ليطهركم**﴾ والمعنى عند المرض والسفر، وقيل بتبيان الشرائع،وقيل بغفران الذنوب وفي الخبر"تمام النعمة دخول الجنة والنجاة من النار"،﴿**لعلكم تشكرون**﴾أي: لتشكروا نعمته فتقبل على طاعته[2].

الفرع الثاني: نماذج في تفسير القرآن بالسنة

مسألة السادسة عشرة منتفسير الآية 43 من سورة النساء.

---

[1]- الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي، ج 6، ص86.

[2]- الجامع لأحكام القرآن ،القرطبي ، ج6، ص180

قال تعالى:﴿يا أيها الذين ءامنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين، وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحدكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه، ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾

اختلف مالك في تعليل سبب لعينه فروى ابن القاسم عنه أنه قال:"ليس عليه ذلك". وروى أشهب أنه أن عليه ذلك، قال ابن عبد الرحيم:"ذلك هو أحب إلينا لأن الرسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخلل شعره في غسل الجنابة،وذلك عام لكن كان الأظهر فيه شعر رأسه، وعلى هذين القولين العلماء،ومن جهة المعنى أن استعاب جميع الجسد في الغسل واجب، والبشرة تحت اللحية من جملته، فوجب إيصال الماء إليها ومباشرتها باليد، وإنما انتقل الفرض إلى الشعر في الطهارة الصغرى لأنها مبنية على التخفيف إبدال فيها من غير ضرورة، ولذلك جاز المسح على الخفين ولم يجز الغسل، وقال القرطبي في هذا: "ويعضد هذا قوله صلى الله عليه وسلم:**(تحت كل متعرية جنابة)**"[1].

الفرع الثالث: نماذج في تفسير القرآن بأقوال الصحابة

اختلف العلماء في المعنى المراد بقوله تعالى:﴿**إذا قمتم إلى الصلاة**﴾على أقوال، منهم قول طائفة المراد من الأية الوضوء لكل صلاة طلب للفصل وحمل الأمر عل الندب وكان كثير من الصحابة منهم ابن عمر يتوضون لكل صلاة طلبا للفصل، وكان عليه الصلاة والسلام يفعل ذلك إلى أن جمع يوم الفتح بين الصلوات الخمس بوضوء واحد، ايرادة البيان لأمته صلى الله عليه وسلم[2].

الفرع الرابع: نماذج في تفسيرهللقرآن بأقوال التابعين

[1]- المرجع نفسه ،ج5 ،ص212

[2]- الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ،ج6،ص 81

أدرج قول مالك في المسألة العاشرة من تفسير الآية 6 من سورة المائدة قال تعالى:﴿**يا أيها الذين ءامنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون**﴾،اختلفوا فيها.

قال مالك:"يبدأ بمقدم رأسه،ثم يذهب بيديه إلى مؤخره ثم يردهما إلى مؤخر رأسه،ثم يذهب به إلى مأخره ثم يردهما إلى مقدمته، على حديث عبد الله بن يزيد، وبه يقول الشافعي وابن حنبل[1].

المطلب الثاني: تطبيق منهج القرطبي في التفسير بالرأي

ويتضمن هذا المطلب فرعين أثنين هما الاتجاه اللغوي النحوي والاتجاه الفقهي

الفرع الأول: الاتجاه اللغوي النحوي

مسألة مسح الرأس، قال تعالى:﴿**وامسحوا برؤوسكم**﴾[سورة المائدة،الآية 2]

اختلف العلماء في تقدير مسحه على أحد عشر قول، ثلاثة لأبي حنيفة، وقولان للشافعي، وستة لعلمائنا.

والصحيح منها واحد وهو وجوب التعميم، وأجمع العلماء على أن من مسح رأسه كله، فقد أحسن وفعل مايلزمه والباء مؤكدة زائدة ليست للتبعيض، المعنى وامسحوا رؤوسكم، وقيل دخولها هنا كدخولها في التيمم في قوله تعالى:﴿**فامسحوا بوجوهكم**﴾فلو كان معناها التبعيض لأعادته في ذلك الموضع، وهذا قاطع.

وقيل إنما دخلت لتعيد معنى بديعا وهو أن الغسل لغة يقتضي مغسولا به، والمسح لغة لا يقتضي ممسوحا به، فلو قال وامسحوا رؤوسكم لأجزأ المسح باليد إمرارا من غير

[1]-المرجع نفسه ، ج6،ص89

شيء على الرأس، فدخلت الباء لتقييد ممسوح به، ولو الماء، فكأنه قال: "وامسحوا برؤوسكم الماء، وذلك فصيح في اللغة على وجهين، إما على القلب كما أنشد سيبويه

كنواح ريش حمامة بخديه*** ومسحت باللثتين عصف الإثمد

واللثة هي الممسوحة بعصف الإثمد فقلب، وإما على الاشتراك في الفعل والتساوي في نسبهكقول الشاعر:

مثل القنافذ هداجونقد بلغت*** نجران أو بلغت سوءاتهم هجر

فهذا لعلمائنا في معنى الباء[1].

الفرع الثاني: الإتجاه الفقهي

بإعتبار القرطبي مالكي المذهب فإنه يكاد يذكر رأي الإمام مالك في جميع مسائل الخلاف، و من هذا الباب نذكر مسألة النية في غسل الجنابة.

– قال علماؤنا: ولابد في غسل الجنابة من نية، لقوله تعالى:﴿**حتى تغتسلوا**﴾، وذلك يقتضي النية، وبه قال مالك والشافعي وأحمد وإسحاق وأبو ثور، وكذلك الوضوء والتيمم، وعضدوا هذا بقوله تعالى:﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين**﴾، والإخلاص النية في التقرب إلى الله تعالى، والقصد له بأداء ما افترض على عباده المؤنين، وقال عليه الصلاة والسلام:"**إنما الأعمال بالنيات** " وهذا عمل.

وقال الأوزاعي والحسنيجزئ الوضوء والتيمم بغير نية، وقال أبو حنيفة وأصحابه كل طهارة بالماء فإنها تجزئ بغير هذا، ولا يجزئ التيمم إلا بنية، قياسا على إزالة النجاسة بالإجماع من الأبدان والثياب بغير نية، ورواه الوليد بن مسلم عن مالك[2].

المطلب الثالث: نماذج من استخدام القرطبي لعلوم القرآن

في هذا المطلب سنرى كيف استخدم القرطبي علوم القرآن في تفسيره للقرآن الكريم، ويحتوي هذا المطلب على أربعة فروع.

[1] الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ج 6 ، ص 87 - 88

[2] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 5، ص 202.

الفرع الأول: المكي والمدني وأسباب النزول

مثال ذلك قوله تعالى:﴿ ياأ**يها الذين ءامنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا، وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفوا غفورا**﴾[سورة النساء،الآية 43].

جاء في كتابه أن سورة النساء كلها مدنية إلا آية واحدة نزلت بمكة عام الفتح، في عثمان بطلحة، وهي قوله تعالى:﴿ إن **الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها**﴾[سورة النساء، الآية 58]، على ما يأتي بيانه، قال النقاش:"وقيل نزلت عند هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، وقد قال بعض الناس إن قوله تعالى:﴿ **ياأيها الناس**﴾حيث وقع إنما هو مكي".

وقاله علقمة وغيره، فينبه أن صدر السورة مكي، وما نزل بعد الهجرة فإنما هو مدني، وقال النحاس عنده السورة مكية.

وأضاف القرطبي بقوله: "والصحيح الأول، فإن في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "ما نزلت سورة النساء إلا وأنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم"، تعني قد بنى بها، ولا خلاف بين العلماء أن النبي صلى الله عليه وسلم بنى بعائشة رضي الله عنها بالمدينة، ومن يتبين أحكامها علم أنها مدنية لا شك فيها، وأما من قال إنقوله:﴿**يا أيها الناس**﴾مكي حيث وقع فليس بصحيح فإن سورة البقرة مدنية وفيها قوله:﴿ يا **أيها الناس**﴾في موضعين، والله أعلم [1]

ويتبين من هذا ويفهم أن الآية 43 من سورة النساء أنها مدنية.

ومثال آخرقوله تعالى:﴿**يا أيها الذين ءامنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين، وإن كنتم جنبا**

[1]الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 5، ص1.

فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحدكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه، ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾[سورة المائدة،الآية 6]، وبالنسبة لهذه الآية فقد ذكر في كتابه أنها بحول الله وقوته هي مدنية بإجماع، وكل ما أنزل القرآن بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم فهو مدني سواء نزل في المدينة أو في سفر من الأسفار.

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ سورة المائدة في حجة الوداع، وقال:﴿**يا أيها الناس إن سورة المائدة من آخر ما نزل، فأحلوا حلالها وحرموا حرامها** ﴾ونحوه عن عائشة رضي الله عنها هو شرعا[1].

وقال القرطبي أن الآية 6 من سورة المائدة مدنية.

الفرع الثاني: النسخ في القرآن الكريم

تحدث القرطبي على النسخ في مسألة الوضوء لكل صلاة في قوله تعالى:﴿**إذا قمتم إلى الصلاة**﴾، اختلف العلماء في المعنى المراد على أقوال، فقالتطائفة هذا لفظ عام في كل قيام إلى الصلاة، سواء كان القائم متطهرا أو محدثا، فإنه ينبغي له إذا قام إلى الصلاة أن يتوضأ، وكان علي رضي الله عنه يفعله ويتلو هذه الآية، ذكره أبو محمد الدارمي في مسنده، وروى مثله عن عكرمة، وقال ابن سيرين: " كان الخلفاء يتوضؤون لكل صلاة".

قال القرطبي:"فالآية على هذا محكمة لا نسخ فيها[2]".

[1] الجامع لأحكام القرآن، ج 6، ص 30-31.
[2] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 6، ص 80 – 81.

الفرع الثالث: دلالات الألفاظ

في مسألة المسح: قوله تعالى:﴿ **فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ** ﴾ [سورة المائدة، الآية 6].

المسح لفظ مشترك يكون بمعنى الجماع، يقال مسح الرجل المرأة إذا جامعها.

والمسح: مسح الشيء بالسيف وقطعه به، ومسحت الإبل يومها إذا سارت، وبفلان مسحة من جمال، والمراد بالمسح عبارة عن جابر اليدعلى الممسوح خاصة، فإن كان بآيةفهو عبارة عن نقل الآية إلى اليد وجرها على الممسوح، وهو مقتضى قوله تعالى:﴿ **فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ** ﴾فقوله منه يدل على أنه لابد من نقل التراب إلى محل التيمم[1].

الفرع الرابع: الأحكام الفقهية الواردة في آيات الأحكام والترجيح بينها عند القرطبي

عند ما تعرض القرطبي للأحكام الفقهية أورد الأقوال المختلفة للصحابة والتابعين وأئمة المذاهب من أقوال المالكية، إلى جانب الحنفية والشافعية والحنابلة، مع عرضه لأدلة كل فريق، والإكتفاء بذكرها دون مناقشتها وترجيح أحدها، وقد يبدي رأيه في أرجح الأقوال في كثير من المسائل معضدا ذلك بالأدلة، وسنذكر بعض أيات الأحكام التي وردت فيها أحكام فقهية وتعرض لها في تفسيره.

مثال في مسألة النية في الوضوء

هنا القرطبي لم يرجح فذكر أقوال الأئمة فقط، وقال وجمهور العلماء على أن الوضوء لابد فيه من نية لقوله عليه الصلاة والسلام:"إنما الأعمال بالنيات"، قال البخاري: فدخل فيه الإيمان والوضوء والصلاة والزكاة والحج والعمرة والأحكام، وقال الله تعالى:﴿ **قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا**﴾، يعني على نيته.

[1] الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ج 5 ، ص 238 - 239

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "**لكن جهاد ونية** "، وقال كثير من الشافعية لا حاجة من النية، وهو قول الحنفية، قالوا، لا تجب النية إلا في الفروض التي هي مقصودة لأعيانها، ولم تجعل سببا لغيرها، فأما ماكان شرطا لصحة فعل آخر فليس يجب ذلك فيه بنفس ورود الأمر إلا بدلالة تقارنه، والطهارة شرط، فإن من لا صلاة عليه لا يجب عليه فرض الطهارة كالحائض والنفساء.

مثال آخر مسألة الكعبين فيالوضوء

في هذه المسألة أضاف مناقشته، فالجمهور على أنهما العظمان الناتئان في جهتي الرجل، قال الشافعي –رحمه الله –: لم أعلم مخالفا في أن الكعبين هما العظمان في مجمع مفصل الساق.

وروى الطبري عن يونس عن أشهب عن مالك قال: "الكعبان اللذان يجب الوضوء إليهما هما العظمان الملتصقان بالساق المحاذيان للعقب".

قال الشاطبي:" هذا هو الصحيح لغة وسنة، فإن الكعب في كلام العرب مأخوذ من العلو، ومنه سميت الكعبة، وكعيب المرأة إذا ملك يديها، وكعب الفتاة أنبوبها، وأنبوب مابين كل عقدتين كعب"، وقد يستعمل في الشرف والمجد[1].

[1] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 6، ص85، 96– 97.

خاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

إن القرطبي وهو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الخزرجي الأنصاري المالكي القرطبي الأندلسي، من أجّل العلماء في التفسير وبالضبط في تفسير آيات الأحكام، هو من خيرة ما أنجبت قرطبة بالأندلس عرف بأدبه قبل علمه، عاصر الموحدين، وقد قدمنا في بحثنا ذلك، وكيف كانت حياته هناك، عاش القرطبي بداية حياته في الأندلس، ثم انتقل إلى مصر، وقد بينا في بحثنا الحالات التي عاشها القرطبي في الأندلس ومصر(السياسية، الاجتماعية، الثقافية)، ذلك كان له الأثر في توسع فكره وعلمه، وتتلمذ على أيدي شيوخ أجلاء مثل اللخمي، والأزدي وغيرهم، وترك من العلم الكثير من مؤلفات.

إن تفسير القرطبي للقرآن الكريم، هو من أجل التفاسير، هو تفسير لآيات الأحكام، والمتتبع والباحث في منهجه –رحمه الله– يرى ذلك جليا، وفي بحثنا هذا كان تطبيق منهج القرطبي على آيات الطهارة، واتبع منهجا دقيقا في ذلك، ففي التفسير بالأثر يفسر القرآن بالقرآن، و بالسنة وبأقوال الصحابة لأنهم عايشوا الوحي والتنزيل والتابعين لأن عصرهم عصر بركة، ومن ميزاته في التفسير بالأثر أنه ينسب كل حديث إلى من رووه، وأخذ بالتفسير بالرأي، فحرص على الرأي وأقوال المفسرين، والعناية باللغة العربية وبيان المفردات، هذا في الاتجاه اللغوي والنحوي، أما في الاتجاه الفقهي الأصولي فقد كان يفيض في ذكر مسائل الخلاف ويبحث فيها ويقوم بتحليلها، بشكل دقيق، ويذكر الأقوال والأدلة، وينسب الأقوال لقائليها،والترجيح بين الخلافات مع عدم التعصب لمذهبه المالكي، وكان يقف موقف المدافع عمن يهاجمهم ابن العربي مما زاد في مصداقية تفسيره، وأيضا اهتم بعلوم القرآن من معرفة المكي والمدني وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ،

ودلالات الألفاظ، ونستنتج أنه كان ملتزما بما وضعه في منهجه، وذلك من خلال تطبيقه على آيات الطهارة.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم.

قائمة المصادر و المراجع :

- القرآن الكريم
- السنة النبوية

1. اختلاف المفسرين أسبابه و آثاره، سعود بن عبدالله الفنيسان، دار إِشبيليا، الرياض، ط: 1، 1418ه/ 1997م.
2. أعلام المفسرين، مشهور محمد حسن سلمان، دار القلم، دمشق، ط:1، ج41، 1413ه/1993م.
3. الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين،1404ه، ج4.
4. البحث العلمي حرفة وفن، منصور نعمان و عثمان طيب نمري، الأردن، 1998م.
5. تاريخ الأسلاف ووفيات المشاهير والأعلام، عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، الذهبي، دار المغرب الإسلامي، ط: 1، ج5، 1434ه.
6. ترجيحات القرطبي في التفسير، عبدالله عيدان، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة و أصول الدين –قسم كتاب و سنة – شعبة التفسير و علوم القرآن الكريم، المملكة العربية السعودية، 1429/1428ه.
7. تفاسير آيات الأحكام ومناهجها، علي سليمان العبيد، دار التدمرية، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط:1، 1431ه/ 2010م، ج1.
8. الجامع لاحكام القرآن، أبوعبد الله بن محمد بن أحمد بن أبي بكر، القرطبي، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي مع محمد رضوان عرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط: 1، بيروت – لبنان، 1427ه/ 2006م، ج1، ج2،ج5، ج6، ج7، ج9.
9. ديوان الإسلام، شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، ج4، 1990م.
10. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد، الذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط:1، ج23، 1405ه/1985م.
11. الشواهد اللغوية في تفسير الجامع لأحكام القرآن، سليمة عياض، أطروحة دكتوراه، جامعة قاصدي مرباح – ورقلة، كلية الآداب واللغات، قسم الأدب العربي، 2016م /2017م.

12. طبقات المفسرين، الحافظ جلال الدين السيوطي، طبع ليدن، 1839م.
13. عصر المرابطين والموحدين في الأندلس والمغرب، عدنان محمد عبدالله، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط:1، 1383ه/ 1964م.
14. علوم القرآن الكريم في تفسير القرطبي، علي عبد الله علي علان، رسالة دكتوراه.
15. قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، عبد العزيز سالم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ج1، 1984م.
16. المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد أبو شهبة، دار اللواء، المملكة العربية السعودية، ط:3، 1407ه/1987م.
17. مناهج البحث في الفقه الإسلامي ، عبد الوهاب ابراهيم أبو سليمان، دار ابن حزم، بيروت، ط: 1، 1416ه/ 1996م.
18. منهج القرطبي في القرءآت وأثرها في التفسير، عبد الله أبو سحلوب، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن.
19. منهج المدرسة الأندلسية في التفسير، فهد بن عبد الله بن سليمان الرومي، مكتبة التوبة، السعودية، ط1، 1417ه/1997م.

العنوان.....	الصفحة
إهداء.....	
مقدمة.....	أ
المبحث الأول: القرطبي عصره، حياته وآثاره.....	02
المطلب الأول: عصر القرطبي.....	02
المطلب الثاني: حياة القرطبي وأهم شيوخه.....	06
المطلب الثالث: آثاره العلمية ومكانته.....	09
المبحث الثاني: منهج القرطبي في التعامل مع آيات الأحكام.....	14
المطلب الأول: منهج القرطبي في التفسير بالمأثور.....	14
المطلب الثاني: منهج القرطبي في التفسير بالرأي.....	18
المطلب الثالث: استخدام القرطبي لعلوم القرآن.....	20
المبحث الثالث: تطبيقات منهج القرطبي على آيات الطهارة.....	24
المطلب الأول: تطبيق منهج القرطبي في التفسير بالأثر.....	24
المطلب الثاني: تطبيق منهج القرطبي في التفسير بالرأي	26
خاتمة.....	33
قائمة المصادر والمراجع.....	35
فهرس الموضوعات.....	37